

١. مفاهيم ونبذة تاريخية

الموسيقى مجموعة الإيقاعات والنغمات والانسجام والتناظر التي نلمحها في ما يصدر عن الوتر حين تنقره الريشة او ما يسن به الناي حين تنفخه الشفاه ، او ما تردده البيانو حين تداعبه الاثامل ، او ما يسيل تحت اسلة القلم وغيرها .

وموسيقى القلم هي التي تعيننا في بحثنا وربما اعترض علينا بان الادب ينتقل عن طريقين : الورق والهواء ، فلماذا نقتصر على الوسيلة الاولى ؟؟ ونحن نؤيد ذلك ولكن ما دام الادب السماعي من الممكن ان يتجمد على شكل حروف ، فلا بأس من تسميتها لانها تجمع ما هو كائن وما يمكن ان يكون .

وموسيقى القلم لا تختص بالشعر دون النثر سواء كانت موسيقى تركيبية لانها الاصل في تركيب الجمال ، او تعبيرية وهي الناتجة من كيفية التعبير . ويعتبر العروض وهو الموسيقى التركيبية من قيم الشعر الهامة ومن العيب ان يتجرد الشعر من ميزانه ، والنثر الفني له عروضه ايضا ولكنه لا يمتاز بالوحدة في الوزن بل لكل عبارة وزنها وقافيتها ويبدو هذا النهج في ارقى النماذج الفنية في نثر القرآن الكريم .

اما الموسيقى التعبيرية فمن قيم الشعر والنثر على حد سواء .

والموسيقى التركيبية ذات قيمة اصولية فقط ولا شيء اكثر من ذلك ، فالاصل في الشعر ان يوزن سواء على اساس التفاعيل في شعرنا العربي او على اساس المقاطع في الشعر الاجنبي ، والاصل في الشعر ان يقفى سواء كانت القافية موحدة او مزدوجة او متشابهة او مضاعفة .

والوزن ذو صفات تتعدد بتعدد الاحاسيس والمشاعر فمنه الراقص والحزين والشجي والتمحس والصارخ والهامس والبارد والجاف وغيرها ، والقافية منها الفنية المتوسطة والفقيرة والنادرة وسواها ولكل من هذه الانواع قيمته الرائعة في مجاله وعيبه الفاحش في غير مجاله .

واذا اجيد استعمال الموسيقى التركيبية في مختلف المواقف الشعورية استطاعت ان تحقق اغراض الشاعر واهدافه ، والموسيقى التعبيرية ذات قيمة فنية وهي كاللون في الرسم والبسمة في الوجه الجميل ومن مظاهرها حكاية الاصوات كازدحام اليمام التي فطن اليها الدكتور مندور في قصيدة « احي » ليخايل نعيمة .

وتتمتع الموسيقى التعبيرية اعتمادا كلياً على ايقاعات اللفظة وما حملتها الايام والليالي من مشاعر وصور انتجتها التجربة الانسانية حتى قسال تشارلتن ان الرجل الفني بالفاظه اوسع حياة من سواه والرجل القدير على استخراج المعاني من الالفاظ اعمق حياة من سواه .

بينما تعتمد الموسيقى التركيبية على الحركات اعتمادا كبيرا فتصنف المقاطع تبعا للحركة والسكون كالخبث والاضمار والوقص والطي والقبض

والعقل والكف وغير هذه الاصطلاحات التي تعارف عليها علماء العروض . والحديث عن انواع الموسيقى هنا لا يتناول الا التركيبية ، لان التعبيرية يحكم عليها بالجودة والجمال والرداءة والقبح ، ولم تقن عند ناقد من نقاد الشعر من قالة الشعر . وقانونها الوحيد هو الذوق ويمكن ان يفيد في ايضاح الذوق وانجاح وسائله الاتجاه الودي الذي يكنه الناقد ويمكن ان يطمس معالم الحق الاتجاه العدائي الذي يكنه الناقد ، للاثر الادبي وصاحبه .

والموسيقى في الشعر كما تبدو في آخر المؤلفات الشعرية تنقسم الى اربعة اقسام هي موسيقى البحور وموسيقى الموشح وموسيقى الشعر الحر وموسيقى الشعر المنثور .

ويشكل تاريخ الشعر العربي حركات ثورية متعاقبة تناولت النواحي الموسيقية بالتغيير والتطور والتبلور ولم تتناول معاني الشعر ومحتوياته الا برجات خفيفة انفرادية تقريبا .

ففي العصر الجاهلي - الاصل الكلاسيكي الخالد - كان الشعر يعتمد على البحور اعتمادا تاما وتقدر القافية تقديرا ضخما ونحن لا يمكن ان نذوق موسيقاه التعبيرية الخشنة الشوكية في نظرنا اليوم .

ثم كانت الثورة الاسلامية التي تناولت كل مظاهر الحياة بالتغيير والتعديل ولم ينح الشعر من هذه الثورة . بل هاجم الاسلام المفاهيم الفنية السائدة وجعل للنثر المقام الاول وبديل الذوق العربي والاتجاه الذي عرف به الشاعر ، فلانت الاساليب واصبحت الفوارق بين الاسلوب النثري والاسلوب الشعري عرضية تقريبا .

ثم كانت الحركة التجديدية في العصر العباسي التي تزعمها بشار بن برد وابو نؤاس وما احدثته من آثار عميقة في تغيير اتجاهات الشعر ، وقضى ابو العتاهية قضاء مبرما على الاستقرابية في موسيقى شعره حينما تقرب من الشعب واستغل الاساليب الشعبية وفاخر في بساطة شعره وسهولة الفاظه .

ثم حدثت المعركة الادبية التي اثارها ابو تمام الذي بلغ في النواحي البديعية القمة والبديع لا يعدو كونه حركة لتغيير الموسيقى التعبيرية المألوفة ذات النغم الواحد .

والثورة الاندلسية في الشعر من اعظم الحركات التي اضافت الى موسيقى شعرنا خصبا وثروة ووسعت استعمالات العروض فبدلا من كونه ستة عشر بحرا وملحقاتها المجزوءة اصبحت الموازين عديدة جدا حتى ليتمكن للشخص الذي يفرغ لهذه الناحية ان يوجد مئات البحور .

وتحجرت القريحة العربية حينما تدهورت مجتمعاتهم بفعل الانتكاسات المتكررة . وفي بداية العصر الحديث - وانا ارى الحدائة تبدأ ببداية القرن التاسع عشر تقريبا - حدثت حركة عنيفة في احياء الموسيقى المحافظة ، اعني

موسيقى البخور على ايدي البارودي ورهطه

ثم تطورت بسرعة حتى وصلت غاية الغدوبة والقوة عند شوقي الذي بوع بالامارة لروعة موسيقاه كما يقول شوقي ضيف .

ثم اتسعت حركة احياء الموسيقى الاندلسية وحازت انتشارا وسمعة طيبة في الشعر الهجري عند ميخائيل نعيمة وابي ماضي ، ونسيب عريضه ، والياس فرحات وغيرهم .

واخيرا .. اثبت من العراق الشعر الحر وفي مدة وجيزة رغم جدته وغرابته وكثرة خصومه وافتقاره الى الاستعداد الذوقي عند الجماهير انتشر بصورة واسعة وبلغ النجاح الباهر على ايدي نزار قباني الذي نجح في كل موسيقى .

وما زالت موسيقى الشعر المثور شقية مضطهدة .

٢٠٢ موسيقى البخور

لو القينا نظرة على موسيقى البخور في المدرسة الشعرية التي عاشت في العراق قبل الحرب العالمية الاولى لرأيناها تابعة لما تقدمها تكثر من الاقتباس والتصميم من السابقين والحديث النبوي والقرآن فهي اذن كثيرة التعابير الجاهزة .

ويلاحظ عليها كثرة المحسنات البلاغية التي افسدت الشعر زمنا كبيرا كالسجع والطباق والكناية والثورية والاستعارة ولعلمهم احسوا بفقرهم الشعوري فاعتاضوا عنه بالكس والطباق .

ومن السهولة ان نلاحظ التقطيع في البيت حيث يكسب القصيدة نبرات قوية، ذات ترجيع صاحب. وفيما نذكره للحبوبي يلح القاريء ذلك، كما يلح المبالغة الكريهة ، والبلاغة ذات الوجه المكفر تفهقه وراء كلمات جيد وجيد ، وقامة وتقويم ، وجنة ، ووجنة ، وغيرها :

لح كوكبا، وامش غصنا، والتفت ريمًا فان عداك اسمها لم تعداك السيميا
وجه اغر ، وجيد زانه جيد ، وقامة تخجل الخطي تقويمًا
لو لم تكن جنة الفردوس وجنته لم يسقني الريق سلسالا وتسيما
الردف والساق ، ردا مشيه بهرا الدرع منقده ، والحجل معصوما

وكان التكلف ميزة ظاهرة واخص بالذكر العمري الذي لا تستطيع وانت تقرا شعره الا ان تعجب من كثرة اللبب بالشعر والعبث بمقدرات الفن وقيمه ، واذكر فيما يلي قطعة مسكينة القافية واظن القاريء في حاجة الى معاني كلمة الخال وهي على الترتيب البرق والسحاب والشامة والجبل والجمل والخلافة والكريم :

الى الروم اصبو كلما اومض الخال فاسكب دمعًا دون تسكاب الخال
وعن مدح داود وطيب ثنائه فلا القد يشيني ولا الخد والخال
مشير الى العليا اشعار فطاطات واصبح مندكا لهيبته ... الخال
مناصبها انقادت لاعتاب بابه كما انقاد مرتاحا الى العطن الخال
ملك ، ملاك الامر والنهي كله اليه انتهى والحكم في الارض والخال
حكي نهر طالوت بسطة علمه وفي فضله ذاك الفتى الماجد الخال

والقصيدة طويلة ، وهناك نماذج اخرى من العبث من اراد الزيادة فعليه بالترياق الفاروقي .. ويلاحظ على اشعارهم معارضة المتقدمين وقد نجد مادحا يمدح هذا الاتجاه مدفوعا بدوافع غير فنية كقصيدة السيد حيدر الحلبي الاتية التي اخذت من المنبني نفسيته الطموحة ووزنه البسيط والقافية الميمية الرفوعة :

ان لم افحيت جيش الموت يزدحم فلا مشيت بي في طرق العلى قدم
لا بد ان اتداوى بالقنا فلقد صبرت حتى فؤادي كله ... الم
عندي من العزم سر لا ابوح به حتى تبوح به الهندية الخدم
لاحلبن ندي الحرب وهي فنا لبانها من صدور الشوس وهو دم
وهناك نماذج تنبؤ عن النوق تماما فانظر الى الجنس الذي قاد السيد
حيدر الحلبي في الابيات التالية الى موضع السخرية ونبو النوق وسخف
التعبير

بين سمطي ثفره للمستلذ خمرة لم ينتبهها منتبذ
ان تقنى هزجا قلت اتخذ مخبدا عبدا وبمه ان ابى
وعلى اسحاق بالنعل اسحق

والقيم التي استطاعت ان تؤديها تلك الموسيقى تقتصر على ارضاء المدوحين ، الذين احبوا المحسنات البلاغية والجلجلة التي تذكرهم بالاولئ تذكرنا عنيقا واضحا نعهه معينا في ايامنا الحاضرة .

ومنها اظهار المقدرة والبراعة والقوة اللغوية التي تضفي عليهم اطارات اثرية تناسب حياتهم الهادئة في الصوامع والمساجد ولم يعرفوا الملاءمة بين الموضوع والموسيقى فكثيرا ما رأيت موسيقى راقصة حملها الشاعر احزانه والامه واستعملها في مواقف الرثاء .

ثم برز الرصافي وامثاله الى الميدان وتطورت موسيقى البخور على ايديهم تطورا يناسب طابع هذه المدرسة المكافحة التي خلقت لتناضل وتجاهد وتخوض الفمرات .

وقد تحللت المدرسة المكافحة من طابع الجمود الذي استبعد اسلافهم ، ولعل هذا الاتجاه من كفاحهم في ميدان الفن يناسب ما اثر عنهم في ميدان الاجتماع والسياسة .

ولكن الصفة التي لازمت موسيقى الرصافي واضرابه الخطابية والحماسة والحكمة والروح التعليمية والاثار الصحفية الظاهرة وكانت تتوجه بالدرجة الاولى الى الجماعات والشعوب قبل ان تتوجه الى شخصيات المدوحين والامراء .

ففي المقطوعة المختارة من الشيبيني يلح القاريء الكريم القوة في الالفاظ التي ترتفع عن القوالب البلاغية والتي تناسب موضوعها .. فالالاف والدال في القافية اراها كوقع الفؤوس او صوت المدافع المتكررة .. دو .. دو .. دو .

وهذه الشدات المعديدة في نزع وخلق ولهن وغص والورد وتعذر توجي بصرير الاسنان الناجم عن الفضب .

ماذا بنا وبذي السديار يراد فقدت دمشق وقبلها بغداد
من موطن الميلاد قامت نزعا خيل لهن بجلق ... ميعاد
بردى واودية الفرات ودجلة والنيل غص بمائك الورد
حال العلوج من الاحامر بيننا وتعذر الاصدار والابراد
لا سناغ يا بردى الشراب ولا هنا عذب من الماء القراح يراد

وللجواهري قصيدة « عتاب مع النفس » المفروض فيها انها وجدانية عليها بالنعومة في اللفظ ، والرق في النغم والرخاوة في عزف الوتر .
ولكننا نجدها مليئة بالفاظ الكفاح والسياسة ويندر ان تجد قصيدة في الوجدانيات لدى هذه المدرسة سالمة من هذه الالفاظ والمصطلحات على فرض انها خلت من الاستطرادات السياسية والوطنية .

فانظر الى قوله : « أخو حبيدة » و « يسجل معركة الكائنات » و « قبضت على حمة العقرب » و « لم احترس ولم احبب » و « اقيم بجهد الجهود » و « ان الشروق اخ المغرب » و « ثارت مخيلتي تدعي » و « ان التنازل مرعى وبني » و « ان الخيانة ما لا يجوز » وغيرها .

وهذه مما اعتاد الوطنيون والحزبيون ترديده في المحافل والمناسبات السياسية كما ان بحر القصيدة المتقارب اصلح ما يكون للمواقف الحربية وسير الجيوش كما يقول الاستاذ احمد الشايب . اما الدكتور عبدالله الطيب المجذوب فقد وضعه ضمن البحور الشهوانية

وما الدهر الا اخو حبيدة مطل على شرف ... يرتبي
يسجل معركة الكائنات مثل السجل في ... المكتب
فما للزمان وكفني اذا قبضت على حمة العقرب
وما ليالي ومفرورة تجشمني خطر المركب
نيابي من قبل ناب الزمان ومن قبل مخلبه مخلبي
تفرى اديمي لم احترس عليه احتفاظا ولم احبب
بناء اقيم بجهد الجهود وسهرة ام ورعيا اب
اجد واعلم علم اليقين باني من الدهر في ملعب
وان الحياة حصيد المات وان الشروق اخ المغرب
وثارت مخيلتي .. تدعي بان التنزل مرعى وبني
وان الخيانة ما لا يجوز وان التقلب للشعلب

واذا مثلنا بشعر الجواهري لبيان تسلل السياسة الوطنية الى الناحية الوجدانية فيما يلي نمثل بالرصافي لنرى كيف استعبدت الاتجاه الوصفي فنجدته يذكر في وصف الصيف التعابير الكفاحية التالية :

« غضبي تجيش بصدرا الشحناء » و « حكمت اشعتها حرابا » و « حتى استجار الليل » و « غارة هيضه شعواء » واما البيتان الاخيران فلا يفترقان الى الاشارة :

جاء الصيف فجفت الانداء وشكت يبوستها به الاشياء
وتوقدت عند الهجيرة شمسه فتلمظت بلمابها الصحراء
وعلى الديار تراكمت من شمسه ملء الفضاء حرارة وضياء
فعلى من الشمس المنيرة اصبحت غضبي تجيش بصدرا الشحناء؟
مدت الينا في الهجر اشعة كالكهرباء نارها بيضاء
فحكمت اشعتها حرابا اشرفت بيضا فما بحديدها اصداء
حتى استجار الليل من لفحاتها ركب سروا فهدتهم ... الجوزاء
اني لاغفر للمصيف .. ذنوبه ولو ان غارة هيضه شعواء
فالصيف اراف بالفقر من الشتا ولذا تحب قدومه الفقراء
قلت به الحاجات فالفقراء في ايامه والاغنياء سواء

وتدهورت موسيقى البحور وفقدت هيبتها وجلالها على يد الزهاوي حين اراد ان يطوع البحور لاستيعاب النظريات العلمية والافكار المنطقية المجردة ، وتدهورت على يد الصافي النجفي حينما اراد البحور ان تستوعب كل ما في الحياة من وقائع يومية ومناظر اجتماعية .

والقيم التي ادتها هذه الموسيقى في هذه الفترة اذكاء الحماس وتهيج العواطف واستنهاض الهمم وقد نجحت في هذا المجال .. فاستطاع الرصافي واضرا به ان يحاربوا ويكافحوا الدخيل والاجنبي بشعر ذي موسيقى تتفق مع آفاق المدفع والرصاص .

والقيمة الفنية لهذه الموسيقى انها كانت ضد المصطلح البلاغي والروح الاثرية التي سادت الفترة السابقة وبذلك نهضوا بالنوع درجة رفيعة وسنوا للشعراء من بعدهم سنة التطور والتجديد وفتحوا طريق الانطلاق . وجاءت المدرسة الجديدة بعد الحرب العالمية فبلغت بموسيقى البحور

درجة رائعة من الفنية فتخلصت من الروح الخطابية والالفاظ السياسية وعقائيل البلاغة الى حد ما وحملت البحور الانطلاقات الوجدانية المتضرعة التي عرفت بها هذه المدرسة .

وننقل فيما يلي قصيدة - كلمات - للشاعر اكرم الوتري على الوزن الذي لم ينتج الزهاوي فيه كثيرا من المرات استطاع ان يكسبه ريننا وهمسا ونعومة وان يلمس القاريء فيه الانطلاق الى عنان السماء .

كلمات همت على نثرها سكرى وحاتر فلم تمس الشفاها
وسرت رعشة على صدرها الواهي فرفت على يدي يداها
وتلاشت وراء ستر من الليل فباحث بسرها ... عينها
اي دنيا من انجم واجمات ، شاردات ، تهيم في دنياها
صفحتها في دمي قصيدة شعر ، اقتدري قصيدة معناها
كلمات .. همت .. واغفت على نثرها .. ظلت روحي تحس صداها
ايه .. لا توفظي الذي نام منها .. انا ادري بها .. فقولني سواها

وهذا بدر شاكر السياب يخالف المكافحين في استعمال بحر الكامل ويحول الموضوع السياسي الكفاحي الى ناحية عاطفية منطلقة ويكسوه الفاظا ناعمة ، وخيالا خصبا ، ولا يناف ان يقول انه يبكي وتسيل دموعه لانه يعبر عن وجدانية عنيفة وينسى انه في ميدان كفاح يتطلب الصبر والجلد وينسى انه في ميدان عقائدي فيصف الموكب الطاهر الثائر بالقطيع ذي الاعين البلهاء

واملا سراجك ان تقضى زيتته مما تدر نواضب الانداء
واخلع عليه كما تشاء ذبالة هذب الرضيع وحلمة العذراء
واسدربنيك يا يزيد فقد توى عنك الحسين ممزق الاحشاء
والليل اظلم والقطيع كما ترى يرنو اليك باعين ... بلهاء
احني لسوطك شاحبات ظهوره شان الذليل ودب في استرخاء
واذا اشتكى فمن المغيث وان غفا ابن المهيب به الى العلياء
مثلت غدرك فاقشعر .. لهوله قلبي وثار وزلزلت اعضائي
واستقرطت عيني الدموع ورنتت فيها بقايا دمعة خرساء
يطفو ويرسب في خيالي دونها ظل ادق من الجناح النائي

وتطرفت نازك الملائكة الى موضوع فلسفي كثر الحديث عنه في شفاها
الفلاسفة من عهد افلاطون وجمهوريته الى سارتر وشخصياته القذرة هو
« بوتوييا » حيث يرتفع الانسان عن كل ما يعكر صفوه ويسود الخير والحق
والجمال .. فعالجت الموضوع بروح عاطفية منطلقة تغلبت على الفكر المجرد
وروح البناء والتقنين .

ضدى ضائع كسراب يعيد يجاذب روحي صباح مساء
انام على رجعه الابدي ويوقظني برفيق الفناء
صدي لم يشابهه قط صدي تغنيه قيثارة في الخفاء
اذا سمعته حياتي ارتفعت حيننا ، ونادته الف نداء
يموت على رجعه كل رجوع بقلبي ويشرق كل رجاء
ويمضي شعوري في نشوة يخدره حلم بوتوييا ...

والى هنا ... نكتفي بالحديث عن موسيقى البحور في طورها الاخير وقد اصبحت ذات قيمة فنية رائعة وحملتها المدرسة المنطلقة امكانيات ضخمة جدا ، واستطاعت ان تستوعب الاعاصر النفسية وان تمنليء بالاستيرادات الاجنبية وتستغل التراث العربي القديم استفلا ناجحا . وموسيقى البحور في طورها النهائي افضل مما سبقها واعذب واجمل . ويودي ان تنتشر وتتقدم وتثبت اقدامها وان لا تنجر امام الشعر الحر فهي تختلف كل الاختلاف عما كانت عليه عند العمري والحلي والرصافي

والزهاوي كما نامل ان تتدارك بعض اخطائها العروضية .

٣ . موسيقى الموشح

الموشح ضرب من موسيقى الشعر العربي يتناول البحور بالتطور الجوهري وليس الحديث عنه ملاحظة اولية حول القافية وتنوعها بصورة انفرادية او مجاميع صغيرة في القصيدة الواحدة .

ان القصائد ذات البحر الواحد والقافية القلب تدخل تحت باب موسيقى البحور اما تلك الظاهرة التي تنظم القصائد على شكل مقاطع لها وحدة عروضية غير وحدة الوزن الفراهيدي المأثور فهو ما اريده بلفظ الموشح .

والمقطع في الموشح قد يقوم على شطر بحر واحد يتكرر على شكل مجموعات منتظمة او يكون خليطا من بحر او اكثر وهنا نجد ان النجاح الذي احرزه مقطع البحر الواحد حقيقه مبرهنة اما نجاح المقطع المختلط فما زال قليلا وضعيف الاثر يحتاج الى البرهنة . ويعزى ذلك الى الانتاج لا وسيلته ولعلنا في الايام الجائيه نجد انتفاضات ناجحة في هذا المجال . والموشح حركة تناولت الشكل والمحتوى عند روادها الاندلسيين فكانت موسيقاهم راقصة ، عجلة الحركة ، رفيقة اللفظة اوجدت لتستوعب صور الشرب واللهو ووجه الطبيعة الاندلسية الضاحكة ومظاهر الحضارة العربية الجديدة على سواحل الاطلنطي .

والموشح في شعر الفترة الاولى من ادب العراق المعاصر حافظ على موسيقية الشكل الراقصة وحققت انتصارات رائعة ولكن محتوياته كانت ذات صبغة خاصة اثرية وليس المحتوى من عدة بحثنا .

اما الاخرس والحلي فهوشحاتهما قليلة . نشغل عنهما بغيرهما ، والموشح عند عبد الباقي العمري يكاد ان يكون لا رونق له رغم الكثرة الكاثرة وابدع السيد محمد سعيد الجبوبي ابداعا منقطع النظير الى يومنا الذي نعيشه في نغمات موشحاته .

وفيما يلي مثل الموشح الجبوبي يستلهم روح عمر بن ابي ربيعة واتجاهاته وتجاربه النفسية :

قلن لي : علك يا بادي الشجن

ذلك الصب العراقي الوطن

مولع القلب بتسأل الدمن

لست تنفك تحيي الاربعاء ولكم عجت ضحى في سفح جناح
قلت : هل تنكرن صبا مولعا بذوات الاعين الرضى الصحاح

قلن : يا اسم امنحيه الفزلا

وصليه فهو من خير الملا

فاشتكت كبيرا وقالت : لا ولا

كان لي سر لديه مودعا ضمن الكتمان فيه ، وأباح
ولقد شبيب بي حتى سعى بي في سر التصابي لافتساح
وهذا موشح لعبد الباقي العمري ذو موضوع شعري يعالج بروح غير
شعرية حيث يكثر من الاشياء البلاغية والاشارات التاريخية وينمو الموضوع
نموا منطقي حتى يشعر القارئ انه لا يتابع احساسا وعاطفة ولكنه يحل
مسألة حسابية ، يجمع ويضرب ويقسم ليصل الى النتيجة .

عروس روح المعاني مع عقائلها وعت مباني بياني من معاقلها
فهل تلام النشاوى من شمائلها واحرفي والمعاني في هياكلها

كؤوس راحة ارواح لاجسام
والحبر من قلمي مسك بذائبه قد ضمخ المجد فرعا من ذوائبه
والسحر سل نفثاتي عن غرائبه والسطر من قلمي في رق كاتبه
سمط به درر في كف نظام
في مدين الفضل كم ادركت من امل وكم سرحت بسرب المدح والغزل
فخذ تفاصيل ما يغنيك من جمل انا كليم المعاني والبراعة لسي
هي العصا والمعاني الفر اغنامي

ومن القيم التي استطاعت الموشحات ان تؤديها في هذه الفترة هي انها افادت الجبوبي اذ غطت بموسيقاها الناجحة الجانب الجامد من قريحته واكسبته سمعة فنية طيبة .

وهي عند الباقي العمري استطاعت ان تعينه على نفخ قصائد الاخرين واعني بالقصائد المنفوخة التشطير والتخميس وغيرها .

ولا يسعنا الا الاعتراف بانها افادت الحلي في تصوير الطبيعة

وجاءت المدرسة المكافحة بين الحربين فوجدت ان الموشح بضاعة المترفين فاستغنوا عنها واكثروا من موسيقى البحور لانها الاسلوب الحماسي الناجح في استنهاض الهمم وبث الوعي في الشعوب . ولم يستغنوا عن الموشح استغناء تاما بل نجد في دواوينهم نماذج قليلة . ويعتبر الزهاوي اكثرهم بضاعة لانه اقلهم كفاحا واكثرهم هدوءا ، اما الشيبيني فلا نجد له مثلا واحدا في ديوانه .

واهم موشحات الرصافي قصيدتان - الفقر والسقام - وايفاظ الرقود لم ينتج شاعرنا الكبير في نغماتهما لانه اراد ان يستغلها لخدمة اتجاهاته الوطنية والاجتماعية . نذكر فيما يلي مقدمة الموشح الاول :

اي مضى يملها باكتئاب انة تترك الحشا في النهاب
يتشكى والليل وحف الاهداب ضمن بيت جئا على الاعقاب
صفعته فمال كف الخراب

تسمع الاذن منه صوتا حزينا راجعا في حشا الظلام كميننا
يملا الليل بالدعاء .. آئينا رب كن لي على الحياة معيننا
رب ان الحياة اصل عذابنا

واذا كان الشاعر استغل الموشح هنا في وصف البؤس وتصوير المناظر الاجتماعية المؤلمة ففي القطعة التالية استغله في المجال السياسي وصيغه بلون الكفاح فلم يقو على حمله لان اذرعه ناعمة خلقت باديء الامر للزهر والربيع والرقص .

الى كم انت تهتف بالنشيد وقد اعياك ايقاظ الرقود
فلمت وان شددت عرى القصيد بمجد في نشيدك او مفيد
لان القوم في غي بعيد
اذا ايقظتهم زادوا رقادا وان انهضتهم قعدوا ونادا
فسبحان الذي خلق العبادا كان القوم قد خلقوا اجمادا
وهل يخلو الجماد عن الجمود

ونجح الجواهري في شيء من الموشح وفشل في شيء اخر ونذكر فيما يلي مقطعا من قصيدة « آئينا » يدل على نجاح جزئي

ان وجه الدجى آئينا تجلى

عن صباح من مقتليك اطلا

- التتمة على الصفحة ٩٣ -

موسيقى الشعر العراقي المعاصر

بقلم عبد الجبار زاوور البصري

- تمة المنشور على الصفحة ٣١ -

وكان النجوم القين ظلا

في غدير مرقق ضحضاح

بين عينيك نهبه ... للرياح

وفيافي الروج اهدتك طلا

ان هذا الطير البليل الجناح

المدوي على متنون الرياح ... الخ.

ومن المؤلف ان اختتم هذه الفقرة وانا لا ادري كيف اقوم موسيقى الموشح عند المكافحين .. ويبدلي انها لم تكن ذات قيم فنية يعتد بها في شعر الرصافي والجواهري والزهاوي .

والقيمة التي تبرر وجودها اعتقادهم انها من متممات الحركة التجديدية في الشعر العربي الحديث فتعاطوها واغلب الظن انهم لها كارهون الا جميل صدقي الزهاوي فقد تعاطاها معاندا مكابرا راغبا في مواكبة التطور الفني.

وجاءت المدرسة المنطلقة فتبلورت موسيقى الموشح على ايديهم و آتت اكلاها طيبا ولم تكن تلك البلورة امتدادا لاسلافهم كالحبوبي واضرابه ، والرصافي واصحابه بل استيحاء لشعر المهجر ومنافسة له .

ففي القطعة القادمة عن تونس للشاعر العماري انور خليل يسمو بموسيقاه شوطا بعيدا ويخدم الاتجاه الوطني الحر في حين حاول الرصافي هذا فلم يوفق كما سبق :

تشقى فتضنينا
حلت بواديننا
الا اصاحيننا
اغمده فيننا
هيئات يفيننا

يا وطني اصبحت سجننا رهيب
جهنم الحمراء ذات اللهب
ما بال جلادك لا يستطيب
وكلما جرد سيفا .. خصيب

ينازع الرقصا
بعض الذي يلقي
لن تطفئ الحقا
مهما نظمت حمقا
هيئات ان تبقى

ونحن روح خالد لا يقب
الشعب في افطع سجن اليم
ما كان في البستيل او في الجحيم
ثبتل وتعذيب وبؤس مقيم
ودولة الظلم وديننا الظنوم

فانارنا تاكل هذا الهشيم

ونحن لا يسعنا الا ان ننف باعجاب امام موسيقى هذا الشاعر ونشير الى قصيدته - فلام وفجر - وانا وكوخي والشتاء في ديوانه من اصداء المتركة اما قصيدته في الطريق فهي صدى باهت ليخائيل نعيمة .

اخي ان طال هذا الليل فالليل له فجر
وان حز بنا القيد وان ارهقنا الاصر
فلا تياس فان الياس موت قد كرهناه
سنطلع من لهيب الروح فجرا قد اردناه
فقم فالفجر يدعونا

ولا نود الاطالة في هذا الشأن بل نكتفي ونحيل القارئ الى اساطير

السياب وازهاره الذابلة ، وشظايا نازك وعاشقة الليل ، واباريق البياتي المهشمة ، ووتر اكرم الجاحد وقيثارة المحروق وغيرهم .

ولقد ادى الموشح رسالته على ايدي هذه المدرسة و اضاف اليها شيئا جديدا هو التحليل النفسي ونجح في مجالات الحماسة والهدوء والطبيعة والتأمل والفلسفة .

ومن المؤلف ان يقل الاهتمام بالموشح اخيرا ويهب الشعراء الشباب كل قواهم وامكانياتهم الى الشعر الحر ومعنى هذا انهم تفاوضوا عن عناصر جمالية لها قيمتها في نظر النقد ولها قيمتها في اذن الجمهور المستهلك. { موسيقى الشعر الحر

ليست حركة الشعر الحر في طورها الجديد ظاهرة سيئة ولكنها مباركة لانها اذا لم تفد - وهذا خلاف الواقع - فهي لا تضر الاتجاهات القديمة واذا وجدنا ازورا عن موسيقى البحور والموشح فليس الاسلوب الحر هو المسؤول ولكن الشعراء هم المسؤولون .

والشعر الحر لا يمكن ان نتجاهله لانه اكبر واضخم من ان يتجاهل فهو يسد علينا المسالك في المجلات والصحف والكتب وقربنا يستحوذ على منابر الخطابة والسنة المئتين .

ولا يمكن ان نحارب الشعر الحر مهما اوتينا من قوة لانه حقيقة

في السوق

موتى بلا قبور

اليسغى الفاضلة

مسر حيتان

ترجمة الدكتور سهيل ادريس والمحامي جلال مطرجي

في سلسلة : روائع المسرح النائي

منشورات دار الآب

ص. ب. ٤١٢٣

والحفاة لا يمكن ان نطمس واكبر دليل على قوته سرعة انتشاره وسيطرته على الوسط الادبي والذوق النقدي مع انه حديث الولادة لا تمتد جذوره الى ما قبل الحرب العالمية الثانية بزمن بعيد .

ومن الخطأ ان يرجع اصول الشعر الحر الى السجع الكهنوتي في الجاهلية او بنود شعراء الانحطاط لان الجذور اليابسة والحبوب الفاسدة لا يمكن ان تنبت منها شجرة خضراء مهدلة الاغصان بالفواكه والورد .

ومن الخطأ ان نرجع حركة الشعر الحر الى الرغبة في الابداع والابتعاد عن الحشو وفضول القول كما يدعي رواد الشعر الحر في مقدمة دواوينهم لان شعرهم الحر لا يخلو من الحشو والتكرار والاضافات الفجة .

ومن الخطأ ايضا ان يقول القائل ان التحرر من المصطلح القديم كانت غايته توسيع التراث الشعري وتنويعه والتعبير عن صيغة الفرد في المجتمع وتوجيه القصيدة الى الفرد رعاية لاستقلالها لان المصطلح القديم يكذب هذا الزعم كما في ديوان اغاني الحياة ، واقاعي الفردوس ، وشعر عمر ابي ريشة ، وطفولة نهد وغيرهم ولان تجديد المحتوى في الشعر الحر اقل اهمية ووضوحا من تجديد شكله .

ومن الخطأ تلك الاشاعة التي تراه مجرد تحليل من القافية والوزن لان معنى هذه الاشاعة انه امتداد للموشح وتطور له . وهذا خلاف الواقع وطبيعة كلا الفنين . ولا نجد اشارة واحدة تؤيد هذه الاشاعة .

ولكن الشواهد الكثيرة تجبرنا على ان نعدده استيرادا من الشعر الاجنبي كما استوردنا غيره من مظاهر الحضارة الغربية عامدين او غير عامدين ..

فنازك الملائكة في قصيدتها الجرح الفاضب تقرر ان اسلوبها الطريف في التقيفه مقتبس مباشرة عن الشاعر الامريكي ادجار الن بو وقصيدة السياب اغنية في شهر اب كما يعرف الجميع صورة شرقية من اغنية العاشق بروفروك للشاعر الانكليزي ت. س. اليوت وغيرها من القصائد .

والانتصارات التي حققها الشعر الحر لم يكن على يد شاعر يجهل لغة الانكليز او الفرنسيين كما ان الشعراء المتحررين عرفوا بالترجمة فنازك ترجمت كثيرا من الشعر في ديوانها عاشقة الليل ، والسياب ترجم مختارات من الشعر العالمي الحديث واكرم الوتري ترجم من شعر طافور ، وكاظم جواد ترجم قصائد عن لوركا وغيرهم .

والمفاهيم التي يعتمدها الشعراء المتحررون ليست مفاهيم عربية خالصة وانما هم رواة لافكار النقاد الاجانب ، ومثلهم العليا الفنية ، من غير العرب فاديت سيتول واليوت مثل السياب الاعلى ، وناظم حكمت مثل كاظم جواد الاعلى وهكذا .

فالشعر الحر ظاهرة يجب ان تدرس باعتبارها بضاعة مستوردة لها عيوبها وحسناتها ورواها وانها ليست امتدادا للسجع الكهنوتي ، او الموشح او حركة عربية اصيلة هادفة .

وفيما يلي مثلان ناجحان من موسيقى الشعر الحر يتبين فيهما الفارق بين الانسياب والتدفق الجارف ، والاتجاه الشعري الذي يخالف في روحه ومنهجه ما تعارفنا عليه ويفصح عن تأثره بالشعر الاجنبي .. والاول من انشودة المطر للسياب :

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر

او شرفتان راح ينأى عنهما القمر

عيناك حين تسمان تورق الكروم

وترقص الاضواء كالاقمار في نهر

برجه الجنداف وهنا ساعة السحر

كانما تنبض في غوريهما النجوم

وتفرقان في ضباب من اسى شفيق

كالبحر سرح اليدين فوقه المساء

دفاء الشتاء فيه وارتعاشة الخريف

والموت والميلاد والظلام والضياء .. الخ ..

والثاني من قصيدة - غسلا للعار - لنازك الملائكة :

اماه .. وحشجة ودموع وسواد

وانبجس الدم واختلج الجسم المظنون

والشعر المتموج عشش فيه الطين

اماه .. ولم يسمعها الا الجلال

وغدا سيجيء الفجر وتصحو الاوراد

والعشرون تنادي والامل المفتون

فتجيب المرجة والازهار

رحلت عنا .. غسلا للعار ... الخ ..

ونذكر بعد ذلك مثلين لموسيقى الشعر الحر الفاشلة ، وانا آسف ان يرد ذكر كاظم جواد وذكر عبد الوهاب البياتي في هذه الفقرة بالذات لان

صدر حديثاً

الناس في بلادى

شعر

صداق الرين عبد الصبور

دار الاداب - بيروت

ص . ب ٤١٢٣

رقت مشاعره ، وسمت احساسه واصبح ينفر من الموسيقى الصاخبة
المفيدة الربية ويعدّها سمة من سمات الأدب في العصور والبيئات
التختلفة .

والشعر الحر ساعد على وجود المذاهب والدعوات الفنية في ادبنا
المعاصر لانه مستعد لتقبل مختلف الاصباغ ، وتبدو فيه مختلف الاصباغ
واضحة لا تحتاج الى التأويل المتكلف بينما عاش الشعر المحافظ ذا صبغة
واحدة لا تختلف بين شاعر وشاعر الا بأشياء عرضية ..

بدأ الشاعر اليوم يتحكم في شعره بعد ان ظل مستعبدا للشعر
عهودا طويلة .

عبد الجبار داود البصري

البصرة

المراجع

١	نظرية الأنواع الأدبية	ترجمة الدكتور حسن عمون
٢	في الميزان الجديد	الدكتور محمد مندور
٣	فنون الأدب	تأليف تشارلتن - ترجمة زكي نجيب محمود
٤	المرشد الى فهم اشعار العرب	الدكتور عبد الله الطيب المجذوب
٥	التصوف في الشعر العربي	عبد الحكيم حسان
٦	دراسات في الأدب الحديث	عمر الدسوقي
٩	شوقي شاعر العصر الحديث	شوقي ضيف
١٠	قصائد من نزار قباني	
١١	ديوان الحبوبي	
١٢	الترياق الفاروقي	عبد الباقي العمري
١٣	ديوان السيد حيدر الحلبي	
١٤	ديوان الشيببي	
١٥	ديوان الجواهري	
١٦	ديوان الرصافي	
١٧	الوتر الجاحد ، اكرم الوثري	
١٨	اساطير السياب	
١٩	شظايا ورماد	نازك الملائكة
٢٠	من اصداء المعتزك	انور خليل
٢١	الناس في بلاد	مقدمة بدر الديب
٢٢	الشعر وقصيته	ابراهيم العريض
٢٢	اراء في الشعر والقصة	خضر الولي
٢٤	اباريق مهشمة للبياتي	
٢٥	النقد الادبي	لاحمد الشايب
٢٦	اعداد من مجلة الاداب اللبنانية .	

اعداد « الآداب » الممتازة

اطلبوا الاعداد الممتازة التي اصدرتها « الآداب »

في اعوامها الماضية عن « القصة » و « الشعر »

و « الفنون » و « المسرح »

لها روايتها الكثيرة والانتصارات الفنية العديدة .. ولكن ما حيلتي
وانا اريد الاستشهاد برواد المدرسة الكبار ولا اريد ان احتطب من الشارع .
من قصيدة « احد والحربة والربيع » لكاسم جواد وهي من وزن انشودة
المطر الرجز ، وهي لا تعدو مجرد حديث من احاديث المفاهي خال من كل
موسيقى حتى العروض اذا قرأنا الابيات قراءة والقراءة المتصلة هي الاصل
بالشعر الحر لانه يخالف الشعر المحافظ في وحدة البيت :

الحقد والمال الوضيع بلد القلوب ،

وحجر العقول

ومرغ الارواح في مستنقع كربه ،

وأجج الاطعام والالام والفروغ

واستنزف الدماء ،

وانهمرت سيول

وحممت خيول

وزمجت طبول

ومن قصيدة مذكرات رجل مجهول - لعبد الوهاب البياتي ، والقارىء
يستنكر موسيقاه وهو لا يعدها الا اثرثة تعلقو كلما سكت خطيب المنبر
وهو من وزن انشودة المطر ايضا ، ويخلو من كل موسيقى حتى

العروض لو قرىء قراءة متصلة :

انا عامل ادعى سعيد

من الجنوب

أبواي ماتا في طريقهما الى قبر الحسين

وكان عمري آنذاك

ستين ما اقسى الحياة

وابشع الليل الطويل

والموت في الريف العراقي الحزين

وكان جدي لا يزال

كالكوكب الخاوي على قيد الحياة ..

والشعر الحر مدين بوجوده لمدرسة خاصة ولا يمكن ان نؤرخه مبتدئين
بمدرسة الحبوبي ثم مدرسة الرصافي .. واذا تأثرت هاتان المدرستان
بغيرهما في الناحية الموسيقية ، فان المدرسة المنطلقة اثرت موسيقاها في
شعراء مصر وسوريا ولبنان على الرغم من وجود محاولات قليلة الخطر
في تلك البلدان سبقت الحركة في العراق .

ونحمد لهذه المدرسة استيرادها الذي يكون اضخم تجديد عرفه الشعر
العربي الحديث ونعجب لجراتها وعزيمتها وهمتها القمصاء في حمل لواء
الحركة ولقد ابدت من القوة والثبات والمثابرة على نشر الدعوة رغم كثرة
الخصوم ما يستحق الاطراء والتبويه كما لا يسعنا الا ان نشير لتفهم
بعض الرواد من الميدان وتكرهم الجزئي لدعوتهم الحرة في الابداع
الشعري .

والمدرسة المنطلقة فتحت مجالا واسعا للتعبير واستطاعت ان تقرب بين
الشعر والمقالة والافصوصة وبذلك اخرجته من انفراديته الفنية التي
اوشكت ان تقضي عليه وجعلته بضاعة شعبية في انتاجها وتدوقها حتى
فقد بعض الانتاج الاخير رونقه كسعر .

وموسيقى الشعر الحر اكثر انطباقا وتجاوبا مع العصر الحديث الذي